

كيف هيأت نفسك للعام الجديد ؟

للاستاذ صلاح الدين الأيوبي

وكيل إدارة البيع والرهن بوزارة التجارة

توضع الميزانية المالية للدولة على ضوء سياسة عليا ، يقصد اهتمامها خلال العام فتقدر أهمية المرافق على هذا الأساس ، وترتبط القوى المالية المناسبة لكل مصرف ، ثم ينظر في كيفية تدبير الموارد .

والإنسان في حاجة إلى وضع ميزانية لشؤون نفسه في أول كل عام بها يتمكن من استغلال كل لحظات الحياة فيعوض بالتدبير قصر أجله الذي كان موضع الشكوى منذ قديم الأزمان فقد قال ابقراط معلم الطب " الحياة قصيرة والفن طويل " . وكان ارسطو يشكو تفضيل الطبيعة بعض الحيوان على الإنسان بطول العمر فان الفيل والحوت والنسر والغراب والبيغاء تعيش قرونا فما أولى أن نقيس العمر من حيث عمقه لا من حيث طوله فيقاس بالأعمال والأفكار .

ومن يبلغ من العمر ستين عاما يكون قد قضى منها ما مقداره وبيانه آتيان :

١٠ أعوام في عهد الطفولة . وهو طويل اذا قورن بعهد طفولة الحيوانات .

١٨ عاما و٦ شهور في النوم بواقع ٧ ساعات يوميا .

سنتان و٤ شهور في الانتظار ، سواء في ذلك انتظار الترام أو انتظار الصديق أو انتظار الطعام . بواقع ١٠ دقائق في اليوم .

٤ سنوات و٨ شهور في المشي بواقع ٣٠ دقيقة في اليوم .

٩ سنوات و٦ شهور في مجالسة بعض السخفاء وبعض الذين يفرضون أنفسهم ،

وفي المحادثات التي لا ضرورة لها نتيجة للتفاهم مع من كانت أفهامهم بطيئة ، بواقع ٤ دقيقة في اليوم .

٤ سنوات و٨ شهور في الغضب أو الكدر أو الحقد أو الحسد أو القلق أو الملل

أو الغيظ أو الطمع أو أى منفص من المنفصات ، بواقع ٣٠ دقيقة في اليوم على الأقل .

ومثل هذه الشواغل التي تلتهم الوقت تكفى أن تخرج الشيوخ من الحياة ونصيهم منها لا يزيد على نصيب الأطفال .

وليس المقصود من استغلال كل لحظات الحياة أن يعمل الإنسان على تمويل الزمن الى ذهب ، فإن قيمة ساعات الحياة لا تقدر بالمال . وليست الحياة مقصورة على الكسب

فاذا إحدى اليدين ملأى بالذهب والأخرى فارغة من الزمن ، فقد يملك الانسان أشياء غالية ونفيسة ولكنه لا يمكنه إرجاع ساعة تنقضى من عمره ، فهو حين يجمع الآلاف التي ينتفع أو يضاربها غيره من بعده يفرط فيما ينتفع هو به من أيام حياته . فاذا أفاق على دنو أجله ود لو يقتدى كل كنوز الأرض ساعة واحدة من الزمن وهو الذي أضاع في سبيلها كل العمر ! (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) .

ليس المقصود من استغلال كل لحظات الحياة أن يعمل الانسان على الانتصار في منازعاته وخصوماته ومشاحناته وانتقاماته ولا المقصود أن يفوز بالذات وأن يشبع الشهوات وأن يستسلم للراحة والكسل .

وانما المقصود أن يتصرف الانسان في أوقاته وجهوده تصرفه بالحزم في أمواله ، بل أنه خير له أن يتصرف فيها تصرف البخيل المسك ، فيضع سياسة رشيدة ، وعلى ضوءها يقدر أهمية كل مرفق من مرافق الحياة ، ثم يرصد له ما يناسبه من الوقت والجهد — والمال إذا تطلب تحقيقه مالا — وبمقتضى هذا النظام لا تطفئ ناحية على وقت وجهد — ومال — ناحية أخرى . فاولئك الذين قصرُوا حياتهم على الكيل للناس ، ورد كيل الناس لهم ، وأفرغوا أعمارهم وجهودهم وأموالهم في المنازعات والتفضايا ، قد فقدوا في الحقيقة عنصر التعادل في توجيه جهودهم في نواحي الحياة وأصبحوا ضحايا الفيز والحقد والعدا والحلم والكدر ، وأن كل يوم يقضونه وهم بين هذه الانفعالات لا يعادله ولا يعوضه كسب موضوع النزاع ومثلهم مثل المسافر الذي يتلهى بقراءة قصة أو بالتحدث إلى من معه من المسافرين فنتهى رحلته دون أن يشعر بها فيقول كما قال شكسبير بلسان ريشارد الثاني أنا الذي قتلت الوقت وقد أصبح قاتلي .

قال فرانكلين « إذا كنت تحب الحياة فلا تسرف في الوقت لأن الحياة منه » وقال مارك أوريلوس « قضاء الانسان عيشة هنيئة منوط به وذلك بإحسان التفكير والتصرف » ، وقال اپكتاتوس « من كان شقيا في حياته فلا ينجح بالأئمة على أحد إذ هو السبب في شقاء نفسه » . ويقول المثل التركي « النشط يغوى الشيطان وهذا يغوى الكسول » .

ولكل أن يضع المنهج الذي يختاره ويروقه له . وفيما يلي مثال ينير السبيل إلى هذا المقصد :

الرياضة — استنشاق الهواء النقي واختيار صحة الرحلات — الملابس — التجميل — الصوت — الكلام — العلوم .

مراقبة خواطرك وأحلامك للوقوف على أسرار اتجاهاتك النفسية — تربية روح الفكاهة والمزاح — قائمة هواياتك النافعة — دراستها لتنميتها والتعمق فيها — قائمة الفنون الجميلة لتستعملها بقصد إزالة الهم والسأم والعصية وإيجاد التوافق بين عقلك الباطن وعقلك الواعي . قائمة المواضيع التي يجب أن تكون ميدانا لاهتمامك — خطة توسيع مجال هذا الميدان — خطة تعهد تشتت الانتباه إلى عدة مواضيع في آن واحد — تحسين قوة الانتباه — تحسين قوة الملاحظة — وقوة التفكير — والتذكر — والتخيل — والابتكار .

استيعاء المثل العليا — خطة تحسين الأعمال وذلك بإحصاء العادات المستهجنة للتخلص منها أو من معظمها — وإحصاء العادات المزمع إعتيادها أو إعتياد معظمها — أساس الحكم على العادة — التوفيق بين الأسس المتنازعة — الفكرة التي يبنى عليها التوفيق .

ضبط أسس الطباع وهى الانفعالات الفطرية البسيطة كالخوف والغضب — ضبط تكوين العواطف نحو الأشخاص والحيوانات والأشياء والأماكن والأفكار — حصر ما هو جدير منها — قائمة الأشخاص الأفاضل ومزايا كل منهم — قائمة مواضع الولع المفيد — والآراء العظيمة — والمثل العليا — عدم التنافر بين وحدات هذه المجموعة — الانسجام بين وحدات هذه المجموعة .

تقرير أنك بما عرفته في نفسك من مزايا ومن عيوب — خطة إشباع طموح النفس البشرية للارتقاء بمحصولك على نصيبك الطبيعي من المعرفة — ومن الاحترام الاجتماعى — ومن الحضارة — دراسة وسطك الاجتماعى — خطة تنقية المبادئ التى تبناها فى معاملتك للناس — وفى فهمهم — مناقشة سلوكهم ككمياس لسريرتهم — خطة المران على التعمق فى معرفة الشخصيات — هل تتخذ من نفسك مقياساً للحكم على الناس — فضيلة المقارنة العادلة — مدى انتفاع المجتمع منك — ما تقوم به وما تبذله فى سبيل البر — ما تؤديه من الخدمات التى يطلب اليك أصدقاؤك أداؤها — المذهب الاجتماعى الذى تشمل به بنائيتك وإخلاصك وتعمل على إفادته — مدى أثر المحيط الاجتماعى فى شخصيتك — ومدى أثر شخصيتك فى المحيط الاجتماعى — تنوع مجال النشاط — أوقات الراحة — لحظات السعادة — نواحي التفوق والنبوغ — خطة العناية بهذه النواحي — مدى مساهمتك فى بناء الحضارة .

ويلاحظ القارئ القطن أن كل موضوع من هذه المواضيع يصلح عنواناً لمجلد . على أن المطلوب ليس قراءة مثل هذه المجلدات ولا هو نألفها ، ولكن المطلوب هو التزام حد الاعتدال والشرف فى التفكير فى كل منها ، وأما بتوهج النتائج فحدث ، إذا تعهد القارئ هذه الموضوعات يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام أنه يدرك معنى الكثير من العبارات التى قد يمر عليها من الكرام ، وحين يقرأ وصفاً لشخصية زعيم أو استعراضاً لسجايها عظيم يستطيع أن يكون فكرة عن عمق شخصيته وأن يتصور عظم وفداحة الجتهود التى بذلها على مر اللحظات والأيام والسنين حتى توافرت له أسباب الرعامة وتوافرت له عناصر العظمة ، وإذا ذاك ينكشف سر الرجال ومجد الأمم .

سيبدو واضحاً ماذا يفعل أولئك الذين يجلسون إلى القهاوى وإلى النرد وإلى الشطرنج وإلى الورق ؛ أنهم لا يدمرون حياتهم بحسب ؛ كلاً ، بل أنهم يدمرون نصيب أمتهم فى كفاياتهم الكامنة فيهم . إنهم يقضون القضاء المبرم على عباقرة وقادة وساسة ومتعلمين ؛ وعلى منشآت ومؤسسات وسمعة قومية ومجد ينمو بعدهم ويزيد !

فانظر أيها القارئ الكريم إلى ما فى عبارة "قتل الوقت" من معنى فظيع !

صلاح الدين الأيوبي